"بسم الله الرحمن الرحيم "

اشكاليات استخـــدام الاستبيـــان والمقابلة فى العلوم الاجتماعيـــــة

دكتور / عبد الرحيم تمام أبو كريشه
كلية الاداب بقنا ــ جامعة جنوب الوادى

تمهيـــد :

باديء ذى بدء ، يمكن القول أن هناك العديد من المشكلات البحثية فى مجال العلوم الاجتماعية عامة وعلم الاجتماع خاصة ، ابتداء من محاكاة العلماء الطبيعيين فى منهجهم فى البحث ومحاولتهم استخدام المنهج التجريبى..... الى بعض مشكلات الرسائل الجامعية ومظاهر الخطأ والانحراف الذى ينتاب الجزء الاكبر منها * ، مرورا بقضايا الكفاءة البحثية والانضباط العلمى وقضية أخلاقيات البحث العلمى ، وضعف الدور النقدى للبحـــث الاجتماعى **.

ويمكن القول أن أهم هذه المشكلات تظهر بوضوح فى البحث الحقلى ، لان الباحث جزء من الميدان الذى يعمل فيه ، والمشكلة المنهجية الرئيسية فى هذا الصدد نتيجة للفروق بين الواقع الطبيعى كما يصفه عالم الطبيعة والواقع الاجتماعى كما يصفه العالم الاجتماعى ، فلاشك أن هناك فارقا ــ كما يذكر شوتزA.shutz[1] ــ يتمثل فى بناء الافكار والمفاهيم التى يكونها المتخصصون

---

* انظر فى ذلك اشكالية العلوم الاجتماعية فى الوطن العربى ، واخلاقيات البحث العلمى الاجتماعى . حيث شارك فى اعدادهما صفوة من المهتمين بهذه القضايا ــ فعلى سبيل المثال ــ عرض محمد الجوهرى لمشكلات الرسائل العلمية وانتهى الى ضرورة وضع قواعد تنظم سلوك ابناء هذه المهنة فى البحث والتدريس وتقديمالمشورة وتحديد الجهة المختصة بالبحث فى تلك المشكلات المثارة عند حدوث تجاوزات أو مخالفات ..... الخ .

** والنقد هو الذى يفصل فى نهاية الامر بين الغث والسمين ، وبين المغلوط والمصيب ويمثل النقد الاجتماعى محورا هاما للبحوث الاجتماعية ازاء القضايا المجتمعية واوضاعها الاساسية من اجل التغيير فى صالح الغالبية من ابناء المجتمع .

فى العلوم الطبيعية ، فمن اليسير بالنسبة للعالم الطبيعى أن يحدد فى ضوء القواعد الاجرائية للعلم الذى يتخصص فيه مجال ملاحظته وان يحدد أيضا الوقائع والبيانات والحوادث الملائمة لمشكلته أو لبحثه العلمى الذى يقوم به ، أما فى مجال الواقع الاجتماعى فأن الباحث جزء من المجال الذى يدرسه ، كما أن هذا المجال له معنى محدد وبناء يناسب الكائنات الانسانية التى تعيش وتتفاعل فيه ، وتفسر الواقع فى ضوء خبرتها اليومية ، ومن ثم يصبح على الباحث أن يصوغ مفاهيمه وأفكاره التى يدرس بها الواقع فى ضوء التفسيرات التى طورها الناس (وبدون ذلك تصبح دراسته منعزله عن الموضوع الذى يدرسه) وفى نفس الوقت عليه أن يعزل مصالحه واهتماماته الخاصة بعيدا عن مسرح الاحداث ٠

وتلك تطرح امامنا اكثر من تساؤل كيف يتسنى للباحث عزل نفسه عن مسرح الاحداث وهو مندمج تماما ــ أوحتى مندمج جزئيا ــ فى الموضوع الذى يدرسه ؟ ٠٠٠٠٠ كما أنه كيف يستطيع ان يكون علاقة اجتماعيه حميمه فى الواقع الاجتماعى دون أن يتجاهل ولو جزئيا اتجاهه العلمى ؟٠٠٠ هل يستطيع أن يعزل مواقفه الايديولوجيهوالقيمية عن تحليله وشرحه بل وفهمه للظواهر الاجتماعية التى يدرسها ؟ ٠٠٠٠٠ وتجرنا هذه التساؤلات ــ وغيرها ــ الى مشكلة رئيسية وهى كيف نثق فى المعلومات والنتائج التى يتوصل اليها الباحث الحقلى ؟ ٠٠٠٠٠ والى أى مدى نستطيع أن نقيم على أساسها نظريات تفسيريه ؟ ٠٠

واذا كان الواقع الاجتماعى متميز ومختلف تماما عن الواقع الطبيعى ، وهذا التميز والاختلاف يقتضى من الباحث الاجتماعى موقفا واتجاها خاصا يتلاءم مع طبيعة الموضوع الذى يدرسه ٠٠٠٠ ومن جانب آخر فأن اندماج الباحث الاجتماعى وتكامله ومشاركته ومعايشته تعنى مزيدا من المعلومات الحقيقية ومزيدا من المعرفة الدقيقة بالخلفيات التى تشكل السلوك الظاهر ٠٠ فلا شك أن كل ذلك وغيره (مثل التعامل الاحصائى والرياضى) يخفف من حدة هذه التساؤلات ويجنب الذاتية فى البيانات بقدر المستطاع ٠

وفى نفس هذا الاتجاه جاء تطور العلوم الاجتماعية نتيجة ما اتبعته

هذه العلوم من مناهج وادوات بحثية فى انشطة البحث فى مجالاتها المختلفة ، حيث ادى ذلك الى استيعاب المشاكل بتعقداتها المختلفة وابراز حقيقة الواقع الاجتماعى ،فعن طريق طرائق البحث الاجتماعى تجلى ماكان ضمنيا فى كنف طيات الحياة العادية ، ووجدت الصلات بين مختلف الظواهر الاجتماعية وطفت على السطح العلاقات الكامنة وراءها ٠

ورغم هذا ، نجد أن البحث العلمى فى المجال الانسانى ، شهد فى السنوات الاخيره ــ كغيره من قطاعات المجتمع المختلفة ــ بروز ممارسات غير شرعية من جانب بعض المشتغلين بالبحث الاجتماعى ، وحدوث بعض الانماط السلوكية التى اثارت ردود فعل واسعه بين القائمين عليه ٠٠٠٠٠الخ وهـــى أمور بالنسبه لمن يدرسون المجتمع ليست فى حاجة الى اثبات ، ومن ثم لم تعد بحاجة الى تناول هذه القضية ٠

فالقضية الاساسية فى هذه الورقة البحثية تركز على اشكالية بعض ادوات البحث * فى العلوم الاجتماعية بصفة عامة وعلم الاجتماع بصفة خاصة ، فهذه الادوات بالرغم أنها اخذت منذ فترة بعيدة وضعها الاساسى فى الدراسات الميدانية وحققت للعلوم الاجتماعية مكاسب نالت اجماع الجميع ، هذا بالاضافة الى دورها الايجابى فى عملية تطور البحث الاجتماعى ، خاصة وان السنوات الاخيرة شهدت نوعا من التعامل الاحصائى والرياضى ، الا أنها تنطوى على قدر كبير من تدخل العوامل الشخصية للباحث ، كما ان صياغة الاسئلة وحســـب العينات ومعالجة الجداول الاحصائية واستخلاص النتائج يشوبها ــ فى بعض الاحيان ــ عملية التحيز ، ويمكن القول انها ادوات تتطلب من الباحث النظر بموضوعية ودقة ومراجعة قبل ان تأخذها على انها ادوات واجراءات دقيقة مسلم بها يمكن استخدامها لاى موضوع بحثى ٠

---

* والجزئيات المطروحة فى هذه الورقة لم تكن بكل تأكيد حصرا شاملا لكل الاشكالية التى يتعين التعرض لها فى هذا المجال ٠٠٠ ولعل التصدى لبعض جوانبها فى هذه الورقة ــ وهى جهد فردى ــ بمثابة دعوة لمزيد من النقاش والدراسات ٠

وبالرغم من أن الباحثين فى العلوم الاجتماعية المهتمين بمناهج البحث قد تعرضوا بالدراسة لغالبية هذه القضايا • الا أنه يمكن القول أن ادوات البحث باعتبارها أسلوبا منهجيا متميزا ، لم تنل ما تستحقه من عنايه وأهتمام ، ويشهد على ذلك ندرة الدراسات العربية التى تعرضت لهذه القضية •

واذا كان الهدف من هذه الورقة هو ابراز القضايا والمشكلات المنهجية والتطبيقية التى تظهر عند استخدام هذه الادوات ، هذا بالاضافة الى رسم بعض الخطوات المنهجية التى يلزم وضعها فى الحسبان عند التطبيق فأن هناك هدف أكبر يتمثل فى طرح هذه الاشكالية والعمل على تشخيصها (بصورة اوسع) امام رجال الفكر من المشتغلين بعلم الاجتماع لكى يشاركوا بوجهات نظرهم وتصوراتهم التى توصلوا اليها ، والاستفادة ايضا من تجاربهم وخبراتهم حتى يمكن توفير مستوى رفيع من معايير العمل العلمى ومراعاة الامانة المطلقه فى عملية اعداد الادوات البحثية وتطبيقها واستخلاص النتائج الموضوعية ، ومن ثم التقدم بالعطاء العلمى فى مختلف القطاعات المجتمعية •

أولا : نظرة عامه (على ادوات البحث فى العلوم الاجتماعية) وملامح الاشكالية :

يلجأ الباحث الى جمع بياناته غير المتاحة من قبل × (من مجتمع البحث) عن طريق ادوات ووسائل ترتبط بالكلمة الاستفهامية بم ؟ فاذا تساءلنا بم يجمع الباحث بياناته ؟ فان الاجابة عن ذلك تستلزم تحديد نوع الاداة اللازمة للبحث • فبعض ادوات البحث تصلح فى بعض المواقف والاتجاهات دون غيرها وفى بعض المواقف قد يعتمد الباحث على اداة واحدة ، وفى مواقف أخرى قد يعتمد على أكثر من اداة أو وسيلة حتى يدرس الظاهرة من جميع جوانبها وليكشف عن طبيعتها بدقة ونجاح•

× قد يلجأ الباحث الى بيانات متاحة من قبل ، مثل البيانات والمعلومات التى يتم جمعها من الدراسات والبحوث السابقة ، والتعدادات الاحصائية الرسميه المختلفة ، وما يتم جمعه من الوثائق والسجلات ..... الخ دون الالتجاء الى ادوات جمع البحث •

ويتوقف اختيار الباحث للاداة اللازمة لجمع البيانات على عوامل كثيرة ، فقد يؤثر موقف المبحوثين من البحث فى تفضيل وسيلة على وسيلة أخرى ٠

وثمة مجالات متعددة ومتنوعة تستخدم فيها هذه الادوات ، أهمها جمع المعلومات فى مجال العلوم الاجتماعية ، خاصة ميادين علم الاجتماع والنفس والتربية ، الى جانب المسوح والاستطلاعات فى المجال السياسى ، وخاصة سياسات انتخابات الرئاسه ، وفى مجال التسويق ، وكمادة خبريه فى وسائل الاعلام المختلفة ٠

ويعتبر الاستبيان والمقابلة من أهم ادوات البحث فى العلوم الاجتماعيـــة ، ويتم استخدامهما بشكل واضح عندما يكون نوع المعلومات له اتصال وثيق بعقائد الافراد أو بشعورهم أو باتجاهاتهم نحو موضوع معين ٠٠٠٠٠ وفى المجتمعات المتقدمة اصبحتا من أهم الوسائل فى التعرف على الرأى العام فى مجال الحياتين السياسية والاجتماعية ، وفى مختلف القضايا وخاصة المتعلقة بالشئون السياسية والاقتصادية ، ومن جانب آخر اعتمدت عليهما بشكل مباشر مراكز ومعاهد قياس الرأى العام فى كل من الدول المتقدمه وفى بعض الدول النامية ايضا ٠

ومع تزايد أقسام علم الاجتماع فى مجتمعنا المصرى ، هذا بالاضافة الى الانتشار الكبير لمعاهد الخدمة الاجتماعية ، فضلا عن المراكز البحثيه المتخصصه فى بعض فروع الاجتماع مثل الاجرام والسكان ٠٠٠٠ ومع هذه الزيادة الكمية تزايدت اهمية الاستبيان والمقابلة كادوات رئيسية لدراسة القضايا البحثيـــة ٠ وبالنظر الى معظم هذه القضايا والمشكلات التى درست واستندت فى اجراءها الى أهم ادوات البحث (الاستبيان والمقابلة) نجد أن معظمها كان بعيدا عن الدراسات التى تساعد على تخطيط التغيير واستخدام التكنولوجيا فى التخطيط حتى على مستوى الوحدات الصغيرة ٠ ولذا نلاحظ أن بعض الابحاث لامبرر لها سوى ارادة اثبات صحة النظرية المراكسية أو الهنوية ٠

ويمكن القول أن وضع هذه البحوث قد زعزع من قيمة هذه الادوات

وصدقها وثباتها ، ومن جانب آخر قد اغفل بعض الممارسين لهذه الادوات بعض الاشكاليات التى تعتبر من بديهيات الامور ، فعلى سبيل المثال تباين المناطق البحثيه وطرق معالجتها بحثيا من حيث الاختلاف فى استجابة الافراد ، فهناك بعض المناطق يستجيب افرادها لهذه الادوات بحكم ظروف بيئاتهم والفتهم بالمسائـــل البحثية * فى حياتهم اليومية بعكس مناطق اخرى ليس لها سابق خبرة بالعملية البحثية ، فعلى سبيل المثال فالباحث الذى يجرى دراسته فى احدى المناطق الريفية المتطرفة ، لايملك من الامر الا أن يفعل كما فعل الصراف مع العمدة ، عندما سأل الاول الثانى (من خلال استمارة الاحصاء الزراعـــى العـــام) عندك كام شجرة بلوط ؟ عندك كام فدان ؟ عدد المواشـــــى كام ؟ ..... الخ ورد الثانى ... قول عشرين ...ثلاثين ... هو حد ح يعد ورانا ** .

وفى كلا الحالتين لانتوقع ان تكون هناك اجابات صادقة .. فاستجابات الافراد قد يؤثر عليها عدة مؤثرات ، وقد تسير فى عدة مسالك مثل الاستجابه بالطريقة التى يعتقد المبحوث انها ترضى الباحث ، أوبالاسلوب الذى يرى أن افراد الجماعة المرجعية فى المجتمع يوعدونه ، أو بالاجابة المثالية التى يعتقد أنها تتطابق مع الاتجاهات العامة فى الدولة كما تعبر عنها مختلف اجهزة الاتصال .

---

* وتشير الشواهد الواقعية ـ ويوكدها احد الباحثين بالجامعة الامريكية ـ بأن هناك مناطق وبخاصة بعض المناطق الريفية المجاورة لمحافظة الجيزة ، عندما يرى اهلها احد الباحثين فانهم يلوحون له (من باب الاستهزاء) تعالى يا اخينا بتعمل ماجستير ولادكتوراه.

** وتكشف خبرتنا عن بعض المناطق الريفية فى الصعيد الاعلى ، عن استغراب ونظره تملوءها الدهشة والاستخفاف من قبل المبحوثين تجاه الباحث ، هذا بالاضافة الى العديد من التفسيرات التى تحيط بها الشك وعدم الاقتناع بكل مايتحدث به الباحث .... ومن الطبيعى ان تنعكس هذه النظرة فى ردودهم على تساوءلات الباحث .

ومن جانب ثالث يلاحظ على استعمال هذه الادوات نوع من التحيز والعشوائية فى الاختيار للاداة المناسبة لجمع البيانات ، فقد يتجاهل الباحث المبحوثين ويملى عليهم الاداة التى تناسبه ، وفى بعض المواقف قد يعتمد الباحث على اداة واحدة ، فى حين ان الموقف البحثى قد يتطلب اكثر من اداة ، وفى مواقف آخرى قد يحدث العكس حيث يلجأ الباحث الى استخدام اكثر من اداة من باب المباهاة والاستعراض فقط لاغير ٠

وجملة القول أن هناك عدة الوان من النقد لادوات البحث ، خرجنا بها من معايشتنا للمبحوثين وبخاصه القرويين منهم ، هذا بالاضافة الى اطلاعنا على بعض الدراسات فى مجالى علم الاجتماع الريفى والتنمية الاجتماعية٠٠٠٠٠٠ وقد اكدت العديد من الدراسات هذا القول ، فعلى سبيل المثال يذكر " دار جناند سنها D.Sinha "(٢) اثناء دراسة لاثر برامج التنمية فى القرية الهندية : بان للاسئلة المباشرة فى مجال الاراء والاتجاهات انواع من النقد ، منها قدرة المستجيب على اخفاء آرائه واتجاهاته الحقيقية اذا اراد ، وقد يدلى باراء لاتعبر عن حقيقة مايشعر به ٠ هذا الى جانب ان الفرد قد لايكون قادرا على تقويم اتجاهاته وسلوكه ، وقد يشعر بالخوف أوالحرج من الادلاء بها ، او يجد الدافع الكافى للاستجابة على الاسئلة المباشرة فى مجال القيم والاراء الشخصية التى قد يعتبرها مسألة شخصية خالصة (٣) ٠

ثانيا : اشكالية الصياغة :

مما لاشك فيه أن صياغة الاسئلة الجيدة والتى تتلائم وموضوع الدراسة تمثل حجر الزاوية فى ادوات البحث العلمى الاجتماعى ٠ وهى التى تفضى الى نتائج نهائية ذات قيمة كبيرة ٠

فالصياغة الموضوعية لاسئلة الاستبيان والمقابلة تمثل ركيزة هامة من ركائز خطوات البحث العلمى ، فلو افترض أن اختيار العينة تم بدقة فائقة والاستجابات تم تحليلها بأساليب متطورة ودقيقة أيضا ٠ وكانت الاسئلة المستخدمة فى الاستبيان خاطئة أو غير ملائمة لموضوع الدراسة أو لافراد مجتمع

البحث • فمن الطبيعى تكون النتيجة النهائية لكل هذا المجهود لاقيمة لها •

وقد تأتى الاسئلة الخاطئة او غير الملائمة لموضوع الدراسة من عوامل كثيرة مثل عدم الملم الباحث بموضوع بحثه ، وتسرعة فى انجاز دراسته بأى شكل من الاشكال ، وقد تكون نتيجة عدم‌الملم الباحث بالناحية المنهجية فى المرحلة الجامعية الاولى أوحتى اثناء دراساته العليا •

كما أن شكل السوءال (مفتوح ــ مقيد) يمثل مشكلا آخر فى عملية الصياغة ، فهناك بعض المواقف التى تتطلب أن يكون فيها السوءال مقيد أوالعكـــس ، وقد تغيب هذه التفرقة عن ذهن الباحث اثناء عملية الصياغـــة •

وفى نطاق الاسئلة المحددة أوالمقيده ، نلحظ أن هناك مجالا واسعا للذاتية ، ففى بعض الدراسات نجد أن السوءال يقوم على أساس استجابات تتفاوت فى الدرجة بين طرفين ، كأن يطلب من المبحوث أن يبدى رأيه نحو قضية معينة : قراءةالصحف والمجلات أكثر متعه من زيارة المعارف والاصدقاء: موافق جدا ، موافق الىحدما ، موافق ، غيرموافق ، غيرموافق الىحدما ، غير موافق نهائيا •

مثل هذه الاستجابات كما يذكر عمار (٤) منالصعب جدا تحديد لدلالة الموافقة ودرجاتها والمقصود منها بين واضع السوءال وبين المسئول • وأظن أن هذه المسألة لاتحتاج الى مزيد من التوضيح ، فما يدخل فى حكم الضرورى فى عرف المتزمت لايعتبر ضروريا فى عرف المتساهل مثلا ، وهذه كلها احكام قيم يختلف الافراد والجماعات فيها حسب خبراتهم السابقة •

وبالرغم من قيام هذه الادوات على أسس موضوعية توصل الى جمع الحقائق تستكشفها دون تدخل للعوامل الشخصية للباحث نفسه ، وبالرغم من استخدام الاساليب الاحصائية التى تنأى بها عنالتحيز وتجعلها صادقة فى قياسها أى أنها تقيس مايراد قياسه وايضا ثابته فى دلالتها (أى الوصول الى نفس النتائج عند استخدامها مرة أخرى " الا أن الواقع المشاهد لايتفق تماما مع ذلك ،

فأدوات البحوث الاجتماعية والنفسيه وبخاصة" الاستمارة " تسير فى اعدادها واستخدامها وما ينتج عنها من نتائج فى طريق قد لايقترب من الموضوعية وفى خط القصور فى الروعية ٠

ويظهر هذا الخط فى وضع الاستبيان نفسه (وهى المرحلة التى تسبق تطبيقه) وأن كان من المفترض تطبيقه واختباره على عينة قبلية (أى اختبار ثبوت الاستبيان)* ٠ وان كان هذا التطبيق القبلى (أو الاسئلة المكررة) لايبعده كثيرا عن هذا الخط ويظل الامر قائم على تصورات نظرية ونظام فكرى فلسفى ٠٠ وتوكد بعض الدراسات هذه الصورة ، ففى احدى الدراسات (٥) التى اراد الباحث فى ثناياها التعرف على روعية أفراد العينة نحو بعض الامثال والتعابير الشعبية التى تكرس الوضع القائم ، وتبين عدم جدوى أى محاولة يبذلها الفرد لكى يتجاوز قدره ووضعه الاجتماعى والاقتصادى الذى ولد ووجد نفسه فيه ٠٠٠٠٠ وكان من بين هذه الامثال والتعابير الشعبية : (الفلاح يوم مايتمدن يجيب لاهله مصيبة) ، (اللى يترك صنعه ابوه وجده يلقى وعده) ، ولما كان من بين شروط اختيار العينة أن يكون معظم المبحوثين من اصول ريفية (٦ر٨١٪) ٠٠٠ فقد جاءت الاجابة تجاه هاتان العبارتان تتسم بموقف ديناميكى متحرر يعكس بقية العبارات ٠ وبنظره موضوعية ارجع الباحث هذه النتائج الى الجانب النفسى قبل ان يرجعها الى حدوث تغيرات فى انماط سلوك المبحوثين ، فليس من المنطق والمعقول ان يحقرالمبحوث نفسه٠٠٠ ولذلك جاءت نسبه الرفض للمثالين متقاربه مع من ينتمون الى الاصل الريفى ٠

وتكشف هذه الملاحظة ، بأنه يجب على الباحث الألمام الكامل بطبيعة افراد العينة وأن تكون الوحدات اوالعبارات التى يتكون منها الاستبيان قد مرت

---

* ومما يجدر ذكره أن هناك طريقة بسيطة يمكن الاستعانه بها فى اختبار ثبوت الاستبيان ، وتتلخص فى ادخال اسئلة مكرره فى معناها ولكنها تختلف فى صياغتها اللفظية بعضها عن بعض وتوزع توزيعا عشوائيا بين اسئلة الاستمارة ٠

فى سلسلة منالتنقيح عن طريق اختيار أصلحها ، ومن جانب آخر أن لايكون الاستبيان متضمنا بعض التساوءلات التى توقع المبحوث فى الحرج او أن لايكون ظاهر العبارات يقلل من قدر المبحوثين أو قدر ابائهم ، فأن الجانب النفسى يلعب دورا كبيرا فى عمليات اختيار الاجابة ٠

ومن جانب آخر قد تحتوى عملية صياغة الاسئلة اثناء اعدادها لعمليات الاختبار فى الاجابة ، تحوى اجابات احادية البعد ، وتكون من وجهة نظر الباحث لها دلالتها فى عالم القيم بينما تكون من وجهة نظر المبحوث ليس لها هذه الدلالة ٠ فعلى سبيل المثال (من خلال الدراسه السابقة) اراد الباحث التعرف على دور النسق القرابى فى تشكيل طابع الحياة داخل الموءسسة الصناعية ٠ فجاءت صياغته كالتالى : الواحد لما يختار اصحابه الافضل ان يكونوا بلدياته ، أقربائه ، زملائه فى العمل ٠٠٠٠٠ الخ ، وفى هذه الحالة اضطر المبحوث الى اختيار اجابة واحدة ، فى حين أن الاجابات الاخرى يمكن ان يختارها ايضا ولاتعنى ضعف النسق القرابى ٠ فميدان العلاقات الاجتماعية واسع جدا والفرد بطبيعته ميالا للاخرين ، وقد يستثمر علاقاته مع الاخرين فى دعم روابط النسق القرابى ٠٠٠٠٠ واذا اراد باحث أن يدرس موضوع القيم لدى أهل الريف محاولا بيان أهمية القيم الدينية والاقتصادية والسياسية فى نظرهم فانه يختار مجموعة من المواقف للدلالة على ذلك فيسأل مثلا : أى الوظيفتين أفيد للبلد : العمدة أم المأذون ؟ وفى هذه الحالة يضطر المسئول الى اختيار اجابة واحدة ، فى حين أن الاجابة الاخرى يمكن ان يختارها أيضا وتعبر تعبيرا صحيحا عن الموقف ، أو أن الوظيفتين مفيدتان ، ومن الصعب أو ليس من الميسور تقرير أيهما أفيد ، فلكل منهما مزية ، والمزية لاتقتضى الافضلية على حد تعبير الفقهاء ، وفى مثل هذه الحالة لايستطيع المبحوث ان يقول أن وظيفة المأذون مفيدة للقرية فى كذا وكذا ، والعمدة مفيدة أيضا فى كذا وكذا ، حيث أن هذا لايتفق مع شكل الصياغة للاستبيان ، فقد صاغ الباحث هذين المتغيرين وحدد سلفا دلالتهما فى عالم القيم ، فالعمدة مرتبط بالقيمة السياسية والمأذون مرتبطه بالقيمة الدينية (وحتى هذه الدلالة نفسها موضوع مناقشة) ولابد للمبحوث (٦) ان يختار احد هذيه المتغيرين حتى يمكن تبويبه وتصنيفه احصائيا ومن ذلك نلحظ أن بعض أنواع الاستبيان

يتعرض لصعوبات يحكم تصور المشكلة ، ومايعترض صياغتها من الفاظ ومنطق لغوى ، ومن الصعب أن تخلو المتغيرات الاختيارية من ذاتية الصياغة بفعل الموءثرات الثقافية واختلاف التصورات الحضارية ، ولذا من الضرورى أن تكون صيغه السوءال سهلة وبسيطة وبطريقة غير قابلة للتأويل حتى يفهم المبحوث المعنى الذى يقصده الباحث ، كما أن لاسلوب الصياغة تأثير كبير فى النتائج التى يحصل عليها الباحث ، فالاجابات تختلف باختلاف النمط الذى يوضع فيه السوءال [×] .

ثالثا : اشكالية العينة :

تحتم قضية التعميم أو الانتقال من الجزئى الى الكلى أن يتم اختيار العينة وفقا لاجراءات منهجية علمية دقيقة ومنضبطه . وأى خلل فى ذلك يوءدى الى افشال قيمة أى دراسة مسحية .... وبالنسبة لادوات جمع البيانات (الاستمارة) فأن المشكلة ستكون اكثر حدة نظرا لاحتمال أن يجد الباحث صعوبة فى الحصول على البيانات من بعض المبحوثين سواء لاسباب خارجة عن ارادتهم أولرفضهم المقصود التعاون مع الباحث ، أو قد يقوم الباحث بتجميع بيانات غير صحيحة من المبحوثين . ومن هنا تظهر أهمية احراز ثقة المبحوث وطمأنينته بالنسبة للمعلومات الشخصية أوالسريه التى يفضى بها الباحث ... كما يجب على القائم بالمقابلة أن يتجنب التأثير على المبحوث بتحيزاته الشخصية أو وجهات نظره) .

ومن ثم تكون خلاصة الاستمارة أو نتيجتها عدم الوصول الى مقولات عامه عن المجتمع الاصلى ، بل الوصول الى مقولات جزئية محدودة جدا . واذا كان البعض يرى فى الطرق الاحصائية وسيلة لتصحيح النتائج فانها فى مثل هذه الحالات وغيرها ــ أى الوسائل الاحصائية ــ لاتستطيع التحرك الا فى هذا النطاق من البيانات .

× يمكن الرجوع الى كتب مناهج البحث للوقوف على قواعد اعداد استمارة الاستبيان والمقابلة .

واذا كان التصميم العطى للعينة يتطلب أن يحدد الباحث الجمهور الاصلى للعينة أو مايمكن تسميته مجتمع العينة التى يتم سحبها منه وأن يصفه وصفا دقيقا وشاملا ، الا أن ذلك لايكفى وحده حتى تكون النتائج سليمه ، بل أنه من الضرورى أيضا ان يتم تنفيذ الاستمارة بعناية تامة وهذا يتطلب أن تكون لدى الباحث خبرات ومهارات خاصة تمكنه من اتمام مقابلاته مع افراد العينة بنجاح، كما يتطلب فى الوقت نفسه أن تكون لدى أفراد العينة الرغبة فى التعاون والحماس والمشاركة بما لديهم من اراء ومعلومات عن طريق اثارة الوعى لديهم واغرائهم بشتى الوسائل .

وليحدد الباحث عينة بحثه عليه أن يكون على درايه تامة بالشروط التى ينبغى توافرها فى العينة مثل مصادر الخطأ (الصدفه ـ التحيز) ومدى الثقة التى يود ان يلتزم بها ونسبه الخطأ التى يود أن يتسامح فيها ...الخ(٧) وأن كانت الكتب المتخصصه فى الاحصاء تفيد فى التعرف على اختيار مفردات البحث على اساس علمى سليم ولتكون النتائج أدنى الى الدقه وأبعد عن التحيز . الا أن الاشكالية تكمـــن فى الباحث نفسه * ، هل كل باحث ملتزم التزاما كاملا ودقيقا (واذا كان ملتزما فهل هو على دراية كاملة بالشروط التى ينبغى توافرها عند اختبار العينة) عند مرحلة التطبيق الفعلى لتجميع البيانات .

رابعا : اشكالية المقابلة :

يثير أغلب دارسى المناهج مثل " هيمان Hyman " و " شيكوريل cicourel" و " كانيل Kannell " مختلف الصعوبات التى تواجه استخدام اسلوب المقابلة فى البحث السوسيولوجى ، ومن أهمها ما تتضمنه المقابلة فى حد ذاتها من بناء المعنـــى meaning structure باعتبارها تنطوى على تفاعل اجتماعى ، وعدم امكان التحكم

---

* وهناك العديد من التجاوزات البحثية (وبخاصه فى مرحلتى الماجستير والدكتوراه) لم يكلف اصحابها أنفسهم عناءالمجهود وانحرفوا بها عن الخط المنهجى فى معظم خطوات البحث .. ولانريد ان نستطرد فى سرد نواحى القصور فهى بالنسبه لمن يدرسون المجتمع ليست فى حاجة الى توضيح

الكامل فى الحركات والاشارات وأسلوب القاء الاسئلة ، الامر الذى قد يوثر فى مضمون الاجابة (٨) .

ومن جانب آخر تعتبر عملية مراعاة التقيد بتسلسل الاسئلة كما هو وارد فى الاستمارة (ضمانا لضبط التسلسل وتساوى السياق) ـ مازالت قضيةخلافيه بين بعض الدارسين ، حيث يشير الكثير من الدارسين مثل " لاكشبانا رو L.,Roa " و " كينزى kensy " و " مارتين Martin" الى امكان عدم التقيد بالتقنين الشكلى للاستمارة من حيث ترتيب القاء الاسئلة أو صياغتها أو اسلوب تدوين الاسئلة ، فى الوقت الذى يغالى فيه البعض مثل " هاميلتون Hamilton " فى ضرورة التقيد الحرفى بالتقنين الشكلى للاستمارة من حيث ترتيب الاسئلة واسلوب الالقاء ونغمة الحديث " وذلك بكتابه الاسئلة فى كروت وتقديمها واحدا بعد الاخر للمفحوص ، ويشير البعض الى أهمية تثبيت مكان اجراء المقابلة والمسافة بين الباحث والمفحوص . ويشير هيمان Hyman فى كتابـــة : Intervlewing in soctal research وشيكوريل cicourel فى كتابه :

Method and measurement in sociology

الى أن تقنين المواقف قد يحقق الثبات على حساب الصدق الحقيقى نتيجة لما يحيط بالموقف من طابع الرسمية والكلفة ، وان ترك الحرية للقائم بالمقابله قد يحقق الصدق ، ولكن لايحقق الثبات (٩) .

ومع اتفاقنا مع هوءلاء الباحثين فى أن المغالاة فى الشكل قد يكون على حساب الصدق ، خاصة فى بعض المجتمعات الريفيه التى تفتقد الخبرة البحثية، لذا فمن الافضل اتخاذ موقفا وسطا وذلك بمراعاة التسلسل بالحفظ وليس بالقراءة والحرص باستمرار على اضفاء جو من الود والصداقة والتلقائية على الموقف عن طريق تقديم السجائر وشرب الشاى .

ويشير " ولسون جى W.Gee" الى عيوب عملية التسجيل المباشر التى تتمثل فى الحد من صراحة وصدق المفحوص فى الادلاء بالاجابة الصحيحة، والى ما له من مزايا تتمثل فى اضفاء طابع الجدية على الموقف واشعار المفحوص بالاهمية (١٠) .

واذا كنا نتفق مع ولسون فى عيوب التسجيل المباشر الا أن عدم التسجيل أو تأجيله بعد لقاء المبحوث له عيوبا كثيرة ، ولذا يجب على القائم بالمقابلة تقليل عملية التسجيل المباشر ، واقتصاره على تدوين الاجابة برموز " التسجيل الرمزى " وبطريقة لاتعرقل مجرى الحديث المستمر والودى مع المبحوث ، ٠٠٠٠ وقد يساعد على ذلك تحديد فئات الاجابة وترقيمها بحيث لايتطلب الامر سوى وضع علامة على الفئة التى تقع فى احادها الاجابة ٠٠

واذا كنا نرى أن هناك قضايا خلافيه بين بعض العلماء فى امور جزئية للمقابلـــة لاتوعثر فى الوصول الى الغرض المطلوب رغم هذا الخلاف ٠٠٠ الا أن المشكلة تكمن فى بعض الباحثين ٠٠ فهل يلتزم معظم الباحين بالشكل الموضوعى للمقابلة ؟ وهل كل واحد من الباحثين يستطيع ان يجذب اهتمام المبحوث ويتقارب فى فكره مع فكر المبحوث ؟ وهل يستطيع الباحث التحكم فى الحركات والاشارات واسلوب اللقاء بما لايوعثر على مضمون الاجابة ؟٠

خامسا: اشكالية الصدق :

قد يغفل بعض الباحثين عملية الصدق عند صياغة الاسئلة ووضع اسئلة المراجعة* للتأكد من صحة الاجابات التى يعنيها الباحث معتمدا على نتائج الاستمارة ٠

والهدف من الصدق أن توءدى أداة البحث الى الكشف عن الظواهر أو السمات التى يجرى من أجلها البحث ٠ وتطابق ما تحصل عليه الاداة من بيانات مع واقع مجتمع البحث ، هذا بالاضافة الى مدى كفاءة اداة البحث فى قياس الظاهرة المراد دراستها ٠

---

* باطلاع الباحث على عدد من الابحاث وبخاصة الرسائل العلمية ، وجد أن هناك اغفالا لعملية صياغة بعض الاسئلة باكثر من شكل للتأكد من صحة الاجابات التى يدلى بها المبحوث ٠ ومن الجدير بالذكر فى معظم الابحاث العلمية التى اجرت اختبارا فعليانجد أن =

واذا كان الصدق يتضمن اتفاق نتائج الاستمارة مع الواقع الخارجى لمجتمع الدراسة ، فان ذلك يعتمد على قدرة الباحث فى كشف ما اذا كان المبحوث قد اجاب عن اسئلة معينة فى اتجاه محدد يعبر عن الصدق فى هذا المجال ، ومن الميسور فى ذلك ان يضع الباحث بعض الاسئلة التأكيدية فى الاستمارة وهى الاسئلة الضابطة (اسئلة المراجعه) التى تصاغ لقياس موضوع واحد باسلوبين مختلفين بهدف معرفة صدق الاجابة ، ومن ثم فانه كلما اتحدت الاجابة على الاسئلة المتشابهة المضمون المختلفة الشكل كلما زادت درجة الثقة ٠

وليحدد الباحث صدق أدواته عليه أن يتساءل هل ادواته تصل به الى المعلومات المراد الحصول عليها ٠ وهل يراعى المبحوثون الدقة والاهتمام عند الاجابة على اسئلته ، فمن المحتمل أن لايجد الافراد الدوافع الكافية لمراعاة الدقة فى الاجابة نتيجة عدم الاهتمام بالموضوع ، أو نتيجة عدم توفر الوقت خاصة فى حالة توجيه اسئلة كثيرة٠

ومن الضرورى لكى يوكد الباحث صدق ادواته أن يلجأ الى عملية المقارنة أو الصدق التلازمى بمقارنة اجابات بعض المبحوثين على فترات متقاربه ، أو اللجوء الى استخدام اكثر من اداة لدراسة ظاهرة واحدة مثل مقارنة أقوال المبحوثين بالادلة الموضوعية المتوفرة عن موضوع البحث ، وذلك علاوة على اضافة اسئلة المراجعة باستمارة البحث او عند اجراء المقابلة ٠

عمليات الصدق والثبات للاستمارة تصل الى ٩٩ ٪ مع الفارق الزمنى الذى قد يمتد الى ما يقرب من شهر ٠ ومن وجهة نظرى انه صدق مفتقد الصدق ٠ ويحتاج الى وقفه ٠٠ فهل من المنطق أن استطاع الباحث أن يقابل نفس المبحوثين (بعد ١٥ ، أو ٢٠ يوما) واذا استطاع ان يقابلهم فهل ظروفهم الواقعية فى المقابلة الاولى تماثل تماما الظروف الواقعية فى المقابلة الثانية ٠٠
وهل ظروف الباحث وطريقة تحكمه فى الحركات والاشارات واسلوب اللقاء ٠٠٠٠٠٠ واحد من تلتا الحالتين ؟٠

قمـة الاشكالية :

اذا كنا نلحظ من خلال الموقفات المثودولوجية وما اشارت اليه العديد من الاقلام البحثية فى هذا المجال من أصابة البحث العلمى فى مجال بحوث المجتمع والانسان ببعض الاشكاليات المرتبطة بالدقة والضبط والاحكام ، فأن أخطر الأمور التى عايشناها ونعيشها هو موقف الباحث أو العالم المنفذ (الذى حمله الله المسئولية والامانة دون سائر الكائنات) أى صاحب المسئولية التنفيذية ، وذلك عندما يصدر ويمارس قراراته البحثيه فى التجارب الجماهيرية الكبرى ، أو قد يلوى الحقائق حتى تتفق وأغراضه الذاتية ، وأحيانا قد يبتعد عن الحقيقة الموضوعية ويترك العنان لخياله السوسيولوجى مبتعدا عن المعايشة الميدانية لدارسته ٠٠٠٠٠ وقد يحدث ذلك الانحراف لتدنى كفايته العلمية او لقصور لديه فى المعلومات أو لعدم تفرغه الكامل للدراسة ٠٠٠ وقد يكون ذلك من باب انجاز عمل علمى دون تكلف عناء ذلك المجهود ٠ وعلـــــى الجملـــــه قد يحدث هذا وكما يذكر حجازى (١١) نتيجة لسوء التنشئة المهنية المشوهة والتى تربى فى الانسان السلبية والانانية وتعوده على الوصولية والانتهازية ٠٠ وأشد هذا الانحراف عندما يفعل ذلك الخطأ وهو على درايه به ٠ والواقع أن مثل هذا النموذج من الباحثين ، قد تخلى عن أمانته العلمية وتخلى أيضا عن مسئوليته وأمانته نحو المجتمع ٠

نماذج واقعية من الاشكالية :

ان النماذج والامثلة كثيرة قد يعجز القلم عن حصرها ، كما أن قدرة الباحث اصغر بكثير من الالمام بالانحدار الذى اصاب الاخلاقيات فى مجال البحث الاجتماعى ٠٠٠ والذى هو انعكاس للانحدار الذى اصاب قطاعات عريضه من المجتمع ٠

وفى نطاق المتاح " لروعيتنا ومسمعنا وقراءاتنا " على وجه العموم ، هناك من يلوون الحقائق ويحرفون النتائج لخدمة اغراضهم البحثية ٠٠ ومنهم من يسطوا على جهود غيرهم مع تغييرات طفيفه ، ومنهم من يستحوذ على جهود الغير وينسبها الى نفسه ٠٠٠٠٠ الخ ٠

ولما كان موضوع ورقتنا البحثية" محددا باشكاليات الاستمارة والمقابلة" فسوف يكون اتجاهنا مفيدا بهذا الخط ، ونترك العديد من صور التدنى والانحرافات البحثية الى موضع آخر ، وسوف نكتفى فى هذا الجزء بعرض امثلة محدودة من بعض الملاحظات التى اشار اليها اساتذتنا فى ثنايا كتاباتهم المختلفة ، ونختم ذلك ببعض الخواطر الذاتية حول هذا الموضوع والتى جاءت نتيجة خبرة بحثية اكثر من سبعة عشر عاما قضاها كاتب هذه السطور فى هذا الحقل ٠

١- الامثلة :

(أ) فى دراسة عن " صبيه الورش فى المدينة المصرية" * حيث تناول محمد الجوهرى(٢) الدراستان اللتان اجرتهما جامعتى الاسكندرية وعين شمس ٠ بالعرض والتحليل والنقد لاهم ما توصلتا اليه الدراستان حول سن الصبيه ومايرتبط به من مشكلات والظروف الأسريه للصبية ، وظروف ومناخ العمل ونظام التدريب داخل الورشة ٠٠٠٠٠٠ الخ ، يعد ذلك يذكر الجوهرى تحت عنوان هامشى " تزييف وعى الباحث أم قصور فى الرؤيه " " فالشىء اللافت للنظر أن أغلب البحوث الميدانية التى أجريت على هذه الطائفه من الصبيه قد صورت مناخ العمل تصويرا ورديا ، حقيقة أنها استمدت بياناتها من هوءلاء الاطفال ، ولكن كان ذلك عادة فى مكان العمل ، وربما تحت رقابة الكبار الموجودين ، أو تحت خوف من اطلاعهم على نتائجها "٠

ومن تلك النتائج المفرطه فى التفاءل أن اولئك الصبيه متوافقون مع أسرهم ، وانهم لايشكون من طول فترة العمل ، وأن أكثرهم لم يتعرض

---

* قام بهذه الدراسة قسم الانثروبولوجيا بكلية الاداب بجامعة الاسكندرية بالاشتراك مع المعهد العالى للخدمة الاجتماعية بالاسكندرية ٠ تحت اشراف الدكتور احمد ابو زيد والاستاذ محمود حسن ، ١٩٧٨٠وايضا قسم الاجتماع بكلية الاداب ، جامعة عين شمس " المشاكل الاجتماعية للاعداد المهنى للصبيه العاملين فى حرف صناعة السيارات واصلاحها" تحت اشراف الدكتور غسان زكى بدر٠

لاصابه عمل ، ومن تعرض منهم لأصابة عمل كان ذلك بسببه هو " أى الصبى" وأنه المسئول عن ذلك ، وأن هوءلاء الصبيه لايعانون من مشكلات داخل العمل (حيث ذكر بحث عين شمس أن ٧٢ ٪ من المبحوثين لاتوجد مشكلات بينهم وبين أصحاب العمل والزملاء٠

ويصور بحث الاسكندرية البيئة الاجتماعية التى يعيشها الصبى بأقرب ماتكون الى البيئه الأسرية ، فالصبى يختار أصدقاءهمن بين زملاء العمل (٧٤ ٪) . ومن مظاهر هذا الموقف الأسرى أن الصبى يعتمد على الاكبر منه سنا وعلى روءساء العمل فى التعليم ومعرفة قواعد وأصول الحرفة أوالعمل الذى يعمل فيه، كما يلجأ الى رئيس العمل لمساعدته وتوجيهه لحل ما يعترضه من مشكلات فى الحياة والعمل ٠٠٠ فنظره الصبيه الى روءساء العمل هى أنهم موجهين ومرشدين واباء واخوة كبار ٠٠٠٠ الخ ٠ كل هذه النتائج تكشف بوضوح أن الطابع المميز لنظام الصبيه كنظام للاعداد والتعليم غير الرسمى قد يتفوق احيانا على النظام التعليمى الرسمى فى المدارس والموءسسات التعليمية الاخرى بوجود انواع قويه من العلاقات القائمة على مشاعر الانتماء والدفء فى العلاقة بين المعلمين والصبيه المتعلمين ٠

وفى موضع آخر أكدت الدراستان ، أن اغلب الصبيه يفضلون النظامالحالـــى ، وأنهم راضون عن مناخ العملوعن الاجور ، وأنهم غير راغبين فى تغيير العمل الحالى ، ولو اتيحت لهم فرصه الاختيار لاختاروا نفس العـــمل ٠

ويعلق الجوهرى فى مواضع متفرقةاثناء تحليله لهاتانالدراستان : " ومع ذلك فاننا نستطيع القول بأن العلاقة بين صاحب العمل والصبى علاقة ذات طابع أبوى ، ولكن أى نوع من الابوة ٠٠٠٠ انها مظاهر وعى زائف لايعانى منها هوءلاء العمال الصغار وحدهم ولكنها ظاهرة اجتماعية أشمل ، بدت لنا غريبة ونابيه لاننا رأيناها لدى غيرنا ، لدى فئة من أطفالنا حرمت من طفولتها، وفرض عليها أن تشيخ قبل الاوان "٠

وما يمكن ملاحظته على ما استخلصته هاتان الدراستان من نتائج ، أنهما اظهرا صورة ورديه غير مطابقة لما تعودنا مشاهدته من حيث القسوة التى تقع على الصبى من الاسطى كوسيلة لتعليمه التعليم الصحيح وتخلق منه رجلا (فى نظر الاسطى) ، كما ان دوافع الحاجة للمال والطموح المهنى للصبى من العوامل المساعدة لتحمل الصبى لهذه القسوة٠

ومما لاشك فيه أن طبيعة الموقف الذى استمدت فيه البيانات يكشف بصورة جلية عن حقيقة هذه النتائج " حيث استمدت فى مكان العمل وتحت رقابة الكبار من الاسطوات ، أو خوف الطفل من اطلاع الاسطى على هذه البيانات ٠٠٠٠"٠ ولو افترض تغيير هذا الموقف واستمدت البيانات من الصبيه بعيدا عن مكان العمل وبعيدا عن رقابة الاسطوات " اصحاب الورش ٠٠٠٠٠ الخ لجاءت النتائج بالقطع فى صورة مخالفة من الصورة الحالية ٠

ومن جانب آخر يمكن القول أن طبيعة الاستمارة كأداه لجمع البيانات فى مثل هذه الدراسات تحتاج المزيد من الاحتياطات البحثية ٠٠ فقد غاب عن القائمين على البحث وبشكل خاص الباحثين الظروف المحيطه بجمع البيانات " مكان العمل ٠٠ رقابة الاسطوات ، خوف الاطفال من أن يطلع الكبار على هذه البيانات "٠٠٠٠ وكان الاجدر ان تتم مقابلة هؤلاء الصبيه فى اماكن بعيدة تماما عن مكان العمل ورقابة الاسطوات ٠٠ واطمئنانهم بأن هذه البيانات لايطلع عليها احد ٠٠ ومن الافضل ان تكون هناك دراسات تتناول هؤلاء الصبيه بعد الانتهاء من الفترة التدريبية داخل الورشة ٠ وبعد الاستقلال عن الاسطوات ٠

(ب) وفى استعراض ناقد لمختلف ادوات واساليب دراسة القيم * والتى استخدمت فى دراسات عربية مصرية ٠ ناقش محمود عودة (١٣) بعض المشكلات النظرية والمنهجية التى واجهتها هيئة بحث " القيم فى المجتمع المصرى " ٠٠ وفى اطار

---

* وقد شملت هذه الادوات والاساليب الملاحظة باشكالها وتدابيرها المختلفة ، والسؤال المباشر وغير المباشر بانماطه المتعددة واسلوب تحليل المضمون ٠

نقده لادوات البحث يذكر : ان السوءال المباشر كوسيلة للتعرف على القيم يعانى من نقطة ضعف اساسية تتمثل فى أن المجيب قد لايعرف ، أو قد لايعى تماما ، وعلى المستوى اللفظى تشكيلة القيم التى يعتنقها ومن ثم لايستطيع التعبير عنها " .... وان كان عودة متوجها فى نقده الى الاسلوب الواحد فى دراسة القيم (ومن ثم اوصى بتلافى النقص من خلال الاسئلة وغير المباشرة الاعتماد على مقياس أو اختبار مقنن) الا أنه يرى ان الاعتماد على وسائل فنيه متعدده لاتحل وحده المشكلات المنهجية المثارة بل لابد ان تستند هذه الوسائل الىخطة فى التفسير تناسب الاطار التصورى الموجه للبحث .

٢-خواطر ذاتيه حول هذا الموضوع :

بعد العرض الموجز لملامح الاشكالية فى الاستبيان والمقابلة ، يهدف طرحه ومناقشته بصورة اوسع واعمق . فالاشكالية اخطر من ذلك بكثير ، فهى لتعد قضية انحراف أدوات العلم الاجتماعى أو قضية انحراف الباحث الاجتماعى بأدوات البحث ، أو قضية تتعلقسلوكيات الباحث الفرد أو تتعلق بالقيم العلميـة ، أو بعلاقة الباحث بالمبحوث .... وانما اصبحت قضية نظام تعليمى تطرح فى اطاره قضية الامانة والدقة فى البحث الاجتماعى من منظور ابعاد العلاقة بين النظام التعليمى وبين الباحث الاجتماعى من جهة وبين البحث الاجتماعى والمجتمع من جهة أخرى .

ومن هنا كان من الطبيعى الا يترك تحديد ضوابط هذه العلاقة للباحث الفرد ولمعاييره وقيمة واخلاقياته ، وانما لابد ان يتحرك القائمون من رجالات علم الاجتماع فى طرح هذه الضوابط وتحديدها .

ومن الملائم قبل الاشارة الى بعض هذه الضوابط ــ من جانب الباحث ــ نطرح بعض التساوءلات لعلها تجد صدى عند القائمون على هذا العلم :ــ

كيف يمكن التحقق من أن خطوات البحث ترجمت الى سلوكيات واجراءات عملية دقيقة ؟ ... اليس من الممكن أن يكون الباحث اختصر معظم أو بعض

هذه الخطوات ؟ ٠٠٠٠ من الذى يكشف الباحث (اذا ضعفت امانته العلمية" عندما ينحرف فى تطبيق خطواته البحثيه داخل الميدان ؟ وايضا عند تحليلاته الاحصائية وكتابه تقريره النهائى :٠٠٠٠ ويقول آخر ما الذى يوكد التزام الباحث باخلاقيات البحث العلمى فى مرحلة العمل الميدانى ؟ اليس من الممكن ان يكون (الباحث) قد اثر على اراء وافكار ووجهات نظر المبحوثين ؟ وايضا اليس من الممكن أن يكون ملىء (طبخ) استماراته داخل غرفته ؟ أو اختلق بيانات وهميه دون ان يكلف نفسه عناء المقابلات ؟٠ واذا نزل الميدان (وهو المرجح) اليس من الممكن أن يتقابل مع البعض (من افراد العينة) دون البعض ؟ ولكى يريح نفسه يضاعف من هذه الارقام داخل جداول التفريغ؟ اليس من الممكن ان يلجأ باحث الى تغيير بعض البيانات لاحدى الدراسات المنشورة ثم ينسبها لذاته ؟٠٠٠٠٠٠٠٠ الخ ٠

وتظهر الاشكالية بصورة اكثر تعقيدا عندما يكون الباحث معتمدا على افراد مساعدين * وتحدث هذه الحالات بصورة واضحة فى ابحاث الموسسات البحثية أوالتى يقوم بها بعض الاشخاص لصالح ممولين أجانب ٠ ومن الملاحظ على بعض هذه الفئه المعاونه لايعنيها الامر بقدر ما تظهر مساعدتها بتقديم عدد اكبر من الاستمارات بغض النظر عن الطريقة التى ملئت بها الاستمارة ، وفى احيانا كثيرة تتم هذه المعاونه بدون شرح وتدريب كافيين لاغراض البحث وكيفية التعامل مع المبحوثين مما يترتب عليه عدم فهم الموضوع ومن ثم عدم ايصاله الى المبحوثين وتكون النتيجة اسئلة لفظية تتردد من قبل المعاون تتلقى اجابات عشوائية من المبحوث ٠

---

* وقد حدث مع كاتب هذه السطور مايشبه ذلك ٠ فقد تصادف اثناء اشرافه على بحث من قبل جمعية الهلال الاحمر المصرى ، ان وجد واحدا من فريق البحث متروبا فى احد اماكن الضيافة لمنازل المبحوثين ثم تقدم فى نهاية اليوم باستيفاء خمس استمارات ، فى حين أكد زملائه (بالاضافة الى رؤيـة المشرف) بأنه لم يقابل سوى فرد واحد فقط ٠٠٠ مما نتج عنه استبعاد هذه الاستمارات والاستمارات الخاصه فى الايام السابقة ٠٠ والغاء مهمته البحثية ٠

" الحل والعلاج ٠٠ " مجرد اقتراح لبعض الضوابط " :

أذا كانت الاشكاليات السابقة تنطبق على معظم العلوم الاجتماعية فى الدراسات الميدانية ، فان انسحابها على الدراسات السسيولوجية يمثل خطأ حقيقيا ، ذلك ان ازدياد عدد اقسام علم الاجتماع وكليات ومعاهد الخدمة الاجتماعية فى حقبه التمانينات واوائل التسعينات أمر ادى الى اتساع قاعدة المشتغلين بالتدريس الجامعى والبحث العلمى دون الاعداد الجيد لهذه القاعـدة ، وقد دخل فى زمرة هذه القاعدة عناصر متنوعة من حيث الخلفية التعليمية والعلمية المهنية ٠٠٠٠ الخ والنتيجة لهذا الاتساع هو اتساع فى الكم المستخرج من الطلاب وتدهور التحصيل الاكاديمى ٠ وضعف الاستعداد للبحث العلمى بجوانبه المعرفية والاخلاقية ، ومن ثم بروز ممارسات غير متفق على شرعيتها من جانب المشتغلين بالبحث العلمى ، كما ادت الى اهتزاز قيم البحث العلمى وأصول التدريس الجامعى ، ويكفى الاشارة الى حالات السرقة ، ـ وكما يذكر الجوهرى ـ أو الى الاعتماد على الاخرين فى كتابه الرسائل العلمية حيث ذاعت بيننا ظاهرة استكتاب الاخرين للرسائل الجامعية فى ميدان علم الاجتماع فى مصر ٠٠٠٠ وهذه قمة الكارثة ٠٠٠٠ ويضيف الجوهرى بأن هذه الظاهرة حتى عهد قريب كانت تقتصر على طائفه معلومة من الطلاب غير المصريين ، ولكن الثراء الانفتاحى الاخير فتح هذا الباب ايضا امام بعض المصريين ، ومالم نتدارك هذا الخطر الداهم ، فنحن فى قلب الكارثة "٠

نستطيع ان نقول ان هناك مشكلة متشعبة المداخل والجوانب ، ونظرا لخطورة هذه المشكلة وتلك الانماط السلوكية التى لاتقتصر على تهديد مكانة الباحثين ومصداقيتهم ومكانه العلم الاجتماعى وتهديد حرية البحث العلمى واستغلاله ، بل تتعدى ذلك الى تهديد قيم المجتمع ومصالحه ٠٠٠٠٠ ومع الاعتراف بصعوبة هذه المشكلة الا أن محاولة اقتراح بعض الضوابط الاضافيه لها الى جانب الضوابط المعمول بها أوالمقترحة فى هذا الشأن " يمكن ان تساعد على حل هذا الاشكال ٠

(١) ان يبدا الاعداد الاكاديمى لطلاب مرحلة الليسانس بصفة عامة وطلاب الدراسات العليا بصفة خاصة بدراسة مكثفة للأسس العامة للبحث

العلمى والقواعد الأولى للتفكير العلمى ، وأهم الطرق والاساليب الفنية المستخدمة فى اجراء البحوث الاجتماعية بأنواعها المختلفة ، (بداية من اختيار المشكلة ووصولا الى كتابة التقرير النهائى) وأهم المشكلات المنهجية التى يواجهها المشتغلون بعلم الاجتماع ٠

(٢) ان تكون لدى الطالب القدرة على التطبيق الميدانى ، حيث من البديهى ان المعرفة النظرية لاتثمر دون تطبيق ، كما أن حفظ مناهج البحث واصوله لاتكون باحثا ، ولكن القدرة على تطبيقها فى مجال معين من مجال الدراسات هى التى تكون وتصقل تجارب الباحثين المقتدرين ٠

(٣) وبجانب الاعداد الاكاديمى فى مجالى مناهج البحث (النظرى والتطبيقى) يعد الطالب بتوعية مكثفة عن اخلاقيات البحث العلمى الاجتماعى والاصول الاخلاقية للعمل الميدانى٠

(٤) من الضرورى ان نلفت النظر الى أن البحوث الميدانية (وهى صادرة من عقر المجتمع) بمثابة كشف من الداخل وترمى الى التعرف على الواقع وتشخيصه بهدف تغييره ، ومن ثم يتطلب الدقة والموضوعية فى جميع مراحل بحوثنا الميدانية ٠ ومن جانب آخر ان تفسح للمقارنة المكانة التى تستحق فى سياستنا البحثية ٠

(٥) ان توضع ضوابط دقيقة فى قبول طلاب الدراسات العليا وان تكون من بين هذه الضوابط التأكد من أهمية الاستعداد الخلقى وقابلية الطالب لتمثل أهم المتطلبات الاخلاقية فى هذا المجال ٠

(٦) وفى نطاق المشروعات البحثية أو الاطروحات العلمية ، تعرض الاستمارة على مجموعة من الاساتذة (المحكمين) لأقرار صلاحيتها وللتأكد من انها تقيس فعلا مايراد قياسه ٠وان يرفق الباحث شهادة بذلك ضمن ملاحق دراسته ٠

(٧) ان تراعى الدقة التامة فى تحديد مواصفات العينة ، بأن يكون حجمها ملائما لتمثيل المجتمع الاصلى الذى سحبت منه ، وان تختار العينة طبقا للقواعد والاجراءات المنهجية ٠

(٨) من الطبيعى ان يخلق الباحث جوا مشبعا بالرغبة من قبل المبحوثين فى المشاركة فى ملء الاستمارات طواعية ودون اكراه وان يتحدث المبحوثون بتلقائية معبرون عن معتقداتهم وقيمهم وآرائهم وسلوكياتهم الواقعية التى تمثلهم بالفعل ٠ ٠٠٠ ، وان يعتقد كل مبحوث بأن ارائه ووجهة نظره لها قيمة كبيرة فى النتائج التى يصل اليها البحث ٠

(٩) ان تكون هناك جهة متخصصة مهمتها الاشراف على الجوانب الميدانية (وفق شروط وقواعد محددة) وكتابة اكثر من تقرير اثناء العمل الميدانى ، وأن تكون هذه الجهة بمثابة جهة امنية بحثية ، ويفضل على مستوى الماجستير والدكتوراه أن لاينزل الباحث الميدان منفردا ، بل يوكل للقسم بتشكيل هذه اللجنه للاشتراك فى عملية التطبيق ٠

(١٠) وفى مرحلة معالجة البيانات الواردة فى اداة البحث ، على الباحث ان يظهر كافة الاقوال التى ادلى بها اعضاء مجتمع البحث وان لايركن الى اظهار بعض التفسيرات دون غيرها ٠

وقد تَضمن هذه الضوابط (وغيرها) اذا طبقت بجدية ، مستوى ادنى من الدقة والموضوعية والعمق فى جميع اطوار البحث الميدانى (ابتداء من الملاحظة الى جمع البيانات وتحليلها واستنباط النتائج منها) فى تصور شامل يعكس بصفة صادقة ونزيهه حقيقة المجتمع المدروس ٠

المراجـــــع

(١) د٠ محمد على محمد ٠ علم الاجتماع والمنهج العلمى دراسة فى طرائق البحث واساليبة ، الاسكندرية ، دار المعرفة الجامعية ، ١٩٨٣٠

(٢) - Sinha Indian Villages in transition, 1969, P. 54 .

(٣) د٠ لويس كامل مليكه ، د٠ صلاح نامق ٠ اتجاهات القرويين والعمال نحو تنظيم الاسرة ، سرس الليان ، ١٩٦٨٠

(٤) د٠ حامد عمار ٠ المنهج العلمى فى دراسة المجتمع ، دار المعرفة المصرية ، ط٢ ، ١٩٦٤ ، ص ٢٩ ومابعدها ٠

(٥) د٠ عبد الرحيم محمود احمد ابو كريشة ٠ الجوانب السسيولوجية فى التنمية الصناعية ، دراسة ميدانية بمصنع الالومنيوم بنجع حمادى ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٩٤ ، ص ١٠٢ ومابعدها ٠

(٦) د٠ حامد عمار ٠ المنهج العلمى فى دراسة المجتمع ، المرجع السابق ، ص ٣٠

(٧) انظر فى ذلك بعض كتب مناهج البحث مثل :
ـ د٠ محمد الجوهرى ، د٠ عبدالله الخريجى٠ مناهج البحث العلمى الجزء الثانى طرق البحث الاجتماعى ، ط ٣، دار الشروق ، جده ، ١٩٨٠ ٠

— د٠ عبد الباسط حسن ٠ اصول البحث الاجتماعى ، القاهرة ، مكتبة وهبة ، ١٩٧٦٠

— د٠ احمد زايد ٠ اصول البحث العلمى ومناهجه ، الكويت ، وكالة المطبوعات ٠

— د٠ محمد على حمد ٠ علم الاجتماع والمنهج العلمى، مرجع سابق ٠

(٨) - Aron cicourel, Method measurement in Sociology, N.Y. Free, 1964, PP.96-101.

(٩) د٠ نبيل السمالوطى ٠ التنمية والتحديث الحضارى ، مطبعة الجبلاوى ، ١٩٧٦ ، ص ٧٢ ٠

(١٠) - Aron cicourel. op. cit, PP. 14-17.
وانظر ايضا :
المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية وبحث تعاطى الحشيش التقرير الاول ، ص ص ٥٤، ٥٥٠

(١١) د٠ محمد عزت حجازى ٠ بحث في أزمة الراهنة لعلم الاجتماع في الوطن العربى ، مجلة المستقبل العربي السنة الثامنة، العدد ٧٥ ، مايو ١٩٨٥ ، ص ص ٦٠ ، ٨٤٠

(١٢) د٠ محمد الجوهرى ٠ صبية الورش فى المدينة المصرية ، مقال فى : محمد الجوهرى ، سعاد عثمان ٠ دراسات فى الانثربولوجيا الحضرية ، ط١ ، دار المعرفة الجامعية بالاسكندرية ، ١٩٩١ ، ص ٢٩٣ ومابعدها ٠

(١٣) د٠ محمود عودة ٠ مشكلات منهجيه فى دراسة القيم فى المجتمع القروى المصرى : فى : لويس كامل مليكه ٠ قراءات فى علم النفس الاجتماعى فى الوطن العربى ، المجلد الثالث ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٩ ، ص ص ٥٥، ٦٧ ٠

يتناول هذا البحث إحدى قبائل جنوب سيناء، وهى قبيلة الجبالية بمنطقة جبل كاترين. وغنى عن البيان أن حركة البحث العلمى المصرى فى علم الاجتماع والأنثروبولوجيا يجب أن تولى مزيدا من اهتمامها إلى شبه جزيرة سيناء، ذلك الجزء العزيز من أرض الوطن، وبوابة مصر الشرقية، وأمل مصر فى مجال التنمية والتعمير والتوسع العمرانى فى المستقبل. فقد آن الأوان لأن تحظى سيناء بالمزيد من جهود العلماء والباحثين فى كافة المجالات، انطلاقا من عظيم أهميتها فى الحاضر والمستقبل.

وتسعى هذه الدراسة إلى إلقاء الضوء على قبيلة الجبالية بمنطقة جبل كاترين ، فتقدم تعريفا بها، ولمحة تاريخية عنها، موضحة أصولها وانحدارها، وبنائها القبلى وتقسيماتها القرابية. كما توضح علاقة هذه القبيلة بغيرها من قبائل سيناء، مع إبراز علاقة التكامل والتساند بينها وبين دير سانت كاترين.

وفضلاً عن ذلك، فقد أبرزت الدراسة بعض ملامح ثقافة هذه القبيلة، ومدى مالحق بها من تغير فى ظل التحضر الذى أخذت تشهده مناطق جنوب سيناء فى السنوات الأخيرة مع قدوم كثير من أبناء النيل للمشاركة فى تعميرها.

ومن هنا فإن الدراسة تمثل إسهاما علميا طيباً فى مجال البحوث الأنثروبولوجية التطبيقية ودورها التنموى الذى يجب أن تضطلع به حاضرا ومستقبلاً فى مجتمعنا المصرى.

أ.د . حسن أحمد الخولى

أستاذ علم الاجتماع والأنثروبولوجيا

كلية البنات – جامعة عين شمس

<u>دراسة انثروبولوجية لقبيلة</u>